الفصل الثانى
النظم الصحفية

ترتبط الأنظمة الإعلامية وتتأثر بنوعية الحكومات التى تعيش فى ظلها ، فهى فى جوهرها عاكسة وداعمة لفلسفة الحكومة وتوجهاتها ، إذ أن الصحافة تأخذ أشكال وألوان التنظيمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تعيش فيها ، وتعكس الصحافة بشكل خاص نظام الضبط الاجتماعى فى المجتمع التى تضبط فيه وتكيف به علاقات الأفراد والمؤسسات .

ويرى آخرون أن وسائل الإعلام هى نتاج وانعكاس لتاريخ مجتمعاتها ، وهى بدورها تلعب دوراً فيه ، وعلى الرغم من تشابه المؤسسات الإعلامية عبر المجتمعات فإن وسائل الإعلام بحكم نشأتها وممارساتها والاعراف التى تحكمها هى مؤسسات وطنية تستجيب للضغوط المحلية والسياسية والاجتماعية ، كما تأخذ فى حسبانها تدفقات جماهيرها المحلية .

وعلى هذا فننظر فى نظريات التبعية الإعلامية Media Dependency Communication والإعلام التنموى Development Communication ونظرية الإعلام السلطوى Authoritarian Communication كنظريات تخدم فهما أعمق لواقع الإعلام فى دولة نامية كمصر تحتاج لاستخدام نظريات التبعية الثقافية والإعلام التنموى والإعلام السلطوى فى فهم النظم الإعلامية .

التبعية والإعلام التنموى :

Dependency & Development Communication

بعد الحرب العالمية الثانية إستقل عدد كبير من الدول عن الاستعمار الغربى . وبدأت الحكومات الناشئة فى الاتجاه نحو بناء الدولة الحديثة بما فيها تحديث البنية الإعلامية وإنشاء الصحف والإذاعات والتليفزيون ، وذاعت نظريات التنمية الاقتصادية وتحسين مستويات المعيشة وكذلك المستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية .

وهنا نشأت على المستوى النظرى التاريخى نظريتان وجدت مجالهما فى : أولاً التنمية وثانياً تبعية الدول النامية لصالح الدول الغربية الكبرى ، وإنعكس ذلك على النظريات الإعلامية والتى تحدثت عن علاقة وسائل الإعلام ودورها فى التنمية فى العالم النامى ونشأت " نظريات الإعلام التنموى Development Communication ويعد من أهم الكتاب فيها ليرنر و شرام W.Schramm, D. Lerner وذلك فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى.

١. نظرية التبعية الإعلامية Media Dependency :

ومن أشهر منظرى نظرية التبعية الثقافية والإعلامية شيللر وماتللارات وبويد باريت وتتلخص النظرية فى أن ما تقدمه الدول الرأسمالية الصناعية من تكنولوجيا إعلامية وأنظمة وممارسات مهنية إعلامية ومواد وبرامج إعلامية للدول النامية، يعمل على صنع وتعميق التبعية الإعلامية لهذه الدول النامية وزيادة اعتمادها على الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة. وتعمل تلك التكنولوجيا والأنظمة والممارسات والمواد الإعلامية المنقولة من دول العالم المتقدم للاستهلاك فى دول العالم النامى ، على تشويه البيئات الثقافية فى دول العالم النامى وتسهم فى إحداث سلبيات ثقافية - إعلامية مثل خلق الثقافات المهجنة والاغتراب الثقافى Cultural Alienation والسيطرة والغزو الثقافى Cultural Domination Invasion .

أجريت دراسات عملية فى إطار هذه النظرية وكشفت عن وجود تدفق غير متساو للمواد الإعلامية - ومنها الأخبار والإعلام والبرامج التليفزيونية وكذلك وجدت الدراسات دلائل عملية على تصدير الدول المتقدمة للأشكال التنظيمية الإعلامية والممارسات المهنية إلى دول العالم الثالث.

انتقادات على نظرية التبعية :

١ - اعتمدت نظرية التبعية الثقافية الإعلامية على العوامل الاقتصادية أساساً مثلها كنظرية الإعلام التنموى.

٢ - أغفلت النظرية دور العوامل الداخلية في البلد النامى لوضع التنظيمات الإعلامية ، وعكسها للأوضاع الاجتماعية - السياسية الداخلية للبلاد النامية.

٣ - وفى النهاية اعتمدت النظرية التنموية على أن السلطوية ظاهرة تمثل جزءاً من التخلف السياسى لدول العالم النامى وأن الحل فى إحداث التنمية السياسية هو فى الأخذ بأشكال ومؤسسات الدول الصناعية المتقدمة فى الدول النامية.

٢. نظرية الإعلام التنموى Development Communication :

تقوم نظرية الإعلام التنموي على وسائل الإعلام فى أى نسق اجتماعى باعتبارها هى العامل الرئيسى للتعبير فيه. ومن المتوقع من وسائل الإعلام تغيير اتجاهات الناس وتعليمهم التوحيد أو الحراك النفسى الضرورى لعملية التغيير الاجتماعى وهى هنا التنمية الاقتصادية أساساً وبالتالى تهتم النظرية بتحديث اتجاهات الأفراد وقيمهم لكى يسهموا فى التنمية الاقتصادية.

وهناك دور ثانوى للتنمية السياسية يقوم على تقوية مركز الحكومة وتطوير البيروقراطية الإدارية المركزية وتوحيد الدولة.

وتخلص النظرية إلى أهمية بناء البنية التحتية الإعلامية Mass Media Infrastructure كمؤشر على مدى تحديث وتطور الدولة النامية.

كما تخلص النظرية إلى أن حرية الصحافة وازدهارها مقترن بالحريات السياسية الأخرى كحرية تكوين الأحزاب والخطابة والاجتماع والتظاهر والإضراب ويعتمد على مدى ارتفاع الدخل القومى.

ويظهر لنا هنا أن نظرية الإعلام التنموى عليها انتقادات أهمها :

١ - أن مستوى حرية الصحافة يرتبط بمعدل التنمية الاقتصادية للبلد النامى وأن حرية الصحافة هى النتاج الطبيعى لنمو البنية الإعلامية.

٢ - استخدام وسائل الإعلام من قبل القادة أو " الصفوة " لتوعية وتعليم الناس، مما وفر للنخب السلطوية فى الدول النامية الشرعية النظرية لتبرير وضع وسائل الإعلام تحت السيطرة الحكومية.

٣ - نجد أن هناك بلاداً نامية مثل كوريا وتايوان وماليزيا والبرازيل تماشت التنمية الاقتصادية فيها مع تنمية البنية التحتية لوسائل الإعلام ولم تطور فيها حرية الصحافة والحريات السياسية ، وبالتالى فإن فرضية هذه النظرية بأن التنمية

الاقتصادية للبلد النامي ستترجم حتما إلى حريات معطاة للصحافة والجماهير هى فكرة خاطئة ولذلك ظهرت نظرية أخرى هى نظرية التبعية Dependency كنظرية منافسة لنظرية الإعلام التنموى كما سبق عرضها.

٣. نظرية الإعلام السلطوى :

توصل عدد من الباحثين إلى أن الإعلام يقوم بدور خاص فى تعزيز سلطوية النظم الحاكمة به. وهذا هو ما يسمى بنظرية الإعلام السلطوى.

ويلخص د. محمد سيد محمد أن الحكم السلطوى فى العالم الثالث يقوم على أساس :

- قوة عسكرية من الجيش والشرطة يعتمد عليها النظام لقمع محاولات التغيير.
- أيديولوجية مقبولة ولو شكلاً من الجماهير.
- وجود وسائل اتصال جماهيرية يعتمد عليها النظام فى تأييده ومساندته، ويقول د. محمد سيد محمد أن هذا الاعتماد من السلطة على وسائل الاتصال الجماهيرى يفسر لنا توجه الدبابة الأولى فى معظم الانقلابات إلى الإذاعة لاحتلالها والسيطرة عليها.

ويقول منظرو نظرية الإعلام السلطوي مثل كورنيليس براث وجاكيونج لى بفشل نظرية الإعلام التنموى بسبب الطبيعية السلطوية لنظم الحكم فى دول العالم النامى. وهذا راجع إلى إهمال نظرية الإعلام التنموى ، للعوامل السياسية المتحكمة فى دور الإعلام فى دول العالم النامى. وأن نظام الإعلام فى الدول النامية قد عزز سلطة النظام السياسى القائم. وأن حرية الصحافة تعكس تاريخ وظروف المجتمع المدنى غير الحكومة فى أى مجتمع.

وتركز النظرية بالتالى على العلاقة السياسية بين النظام الإعلامى والنظام السياسى للبلد ، واعتبار النظام الإعلامى ضمن مؤسسات المجتمع المدنى ، وربط الأخير بتحقيق الديمقراطية.

وقد بنيت النظرية على أساس أن الصحافة هى جزء من المجتمع المدنى ، ولكن مسخر لخدمة مؤسسات الدولة.

وعلى هذا الأساس فإن إجمالى النقد الرئيسى لنظرية الإعلام السلطوى تقوم على :

١ - أن الدول النامية لا تقل فى حاجتها إلى نظم ديمقراطية عن الدول المتقدمة .

٢ - أن استخدام وسائل الإعلام فى التنمية لا يبرر السلطوية وأن حرية الإعلام ليست متناقضة مع التنمية .

٣ - وسائل الإعلام سلاح أيديولوجى هام فى يد الناخب السياسية الحاكمة .

٤ - لا يمكن فصل دور وسائل الإعلام فى المجتمع عن التطور التاريخى وظروف " المجتمع المدنى " فى الدول النامية والدول التى بها نشاط كبير للمجتمع المدنى ونتوقع أن تكون أكثر ديمقراطية من غيرها ، وأن يكون لديها صحافة مستقلة أكثر من غيرها والعكس صحيح .

وتؤثر تلك النظريات على الأنظمة الإعلامية التى تسود فى البلاد النامية أو المتقدمة وبالتالى على النظم والأجهزة الصحفية بها لتصل إلى طبيعة وأساس العملية الأخبارية وهى الخبر الصحفى والذى يبدأ بتلك النظريات كما سنرى فى الفصل التالى .